برنامج أنوار كاشفة **سفر الجامعة** **الحلقة الحادية عشرة**

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكدّ أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

وفي اللقاء الماضي تحدّثنا عن تساؤل سليمان الحكيم عن العمل والتعب وفائدتهما. إذ تبين له أن الله هو الذي فرض العمل والتعب، لكي نفرح بأعمالنا ومنجزاتنا، ونتمتع بحياتنا. ثم تأملنا بقول سليمان الحكيم أن الله غرس الأبدية في قلوب البشر، والهدف هو لكي يتّقيه الناس ويعبدوه.

ألم تتساءل يوماً مستمعي لماذا يسود الظلم عالمنا؟ ولماذا نرى الظالمين يتحكمون بالناس الضعفاء؟ وماذا عن الآلام التي يعانيها الناس المظلومون؟ أو لم تتساءل أيضاً كيف يسمح الله العادل بانتشار الظلم؟ لقد سبق لسليمان الحكيم أن طرح مثل هذه التساؤلات، متابعاً ملاحظاته العامة حول الحياة.

سنتأمل اليوم بملاحظات هامة جديدة رآها سليمان الحكيم تكشف عن تناقضات الحياة. إذ تحدّث قائلاً: **« وأيضاً رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم، وموضع العدل هناك الجور. فقلت في قلبي الله يدين الصّديق والشرير. لأن لكل امر ولكل عمل وقتاً هناك»** (الجامعة٣:١٦و١٧). أليس غريباً حقاً أن يكون المكان المفروض فيه أن يجري الحق والعدل، أن يخرج منه الظلم والجور؟ إننا جميعاً نتوقع مثلاً، أن تحقق الحكومات العدل والحق لجميع مواطنيها، لكننا كثيراً ما نفاجأ أنها تنحرف عن أهدافها، والقوانين التي سنّتها، وتفعل الظلم، إرضاء لمتسلّط أو غني ذي نفوذ.

ولا بدّ أن سليمان الحكيم كملك رأى هذه الظاهرة، وكيف أن الحكّام المفروض فيهم أن يجروا العدل، فسدوا وذهبوا وراء أطماعهم، وهكذا ساد البلاد الظلم بدل العدل. وهذا ما قد نكتشفه مع الأسف ليس في الحكومات والحكام فحسب، بل في الكثير من المؤسسات والمجتمعات. لكن سليمان الحكيم يؤكد هنا أن الله سيدين الظالم، كما أنه سيكافئ الصدّيق في الوقت المناسب. أي علينا أن نتيقن أن الله لابد أن يدين الظالم يوماً ما، ومهما اشتد ظلمه، وبالطريقة المناسبة التي يراها. لهذا علينا أن نثق بعدالة الله بالرغم من كل التناقضات التي نراها.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

وتابع سليمان الحكيم حديثه عن ظاهرة الظلم المستفحلة في المجتمعات فكتب قائلاً: **« ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تُجرى تحت الشمس فهوذا دموع المظلومين ولا معزّ لهم، ومن يد ظالميهم قهر. أما هم فلا معزٍ لهم»** (الجامعة٤:١). هنا يوجد تناقض واضح بين المظلومين والظالمين، فالمظلومون يتألمون ويصرخون ويذرفون الدموع طالبين العدل والإنصاف، لكن لا يوجد من ينقذهم، أو حتى من يبعث فيهم تعزية الأمل والرجاء. أما الظالمون فنراهم يزدادون قوة وتكبراً وجبروتاً، وكأنه لا يوجد من يحاسبهم أو يضع حداً لظلمهم.

هذا الوضع المؤلم المليء بالتناقضات، جعل سليمان الحكيم يكتب أيضاً قائلاً: **« فغبطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان أكثر من الأحياء الذين هم عائشون بعد. وخير من كليهما الذي لم يولد بعد، الذي لم ير العمل الرديء الذي عُمل تحت الشمس»** (الجامعة٤:٢و٣). إنه أمر طبيعي أن يشعر الإنسان بالإحباط، عندما يرى هذه التناقضات، وواقع الحياة المؤلم. كما حصل مع سليمان الحكيم. فيبدأ بمدح الذين ماتوا قائلاً: يا لسعادتهم، لأنهم لم يعودوا يرون هذا الواقع المؤلم. والأفضل منهم، أولئك الذين لم يولدوا بعد، ولم يشاهدوا هذا الواقع الأليم البتة. إنها بالحق نظرة تشاؤمية للحياة، أن ينظر المرء إلى مآسي الحياة ومظالمها، دون أن ينظر إلى جانبها المشرق الجميل. صحيح أنه توجد تناقضات كثيرة، وأوضاع مؤلمة، لكن هذا كله يجب أن لا ينسينا نعمة الحياة نفسها، وجمالها الذي يظهر في نواح كثيرة.

مستمعي الكريم، كثيراً ما نتساءل: إذا كان الله عادل فلماذا يسمح بالظلم في عالمنا؟ وللجواب نقول: إن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله، وكان المفروض أن يكون الإنسان عادلاً كالله. لكن الذي حصل أن الإنسان الأول عصى الله، وهكذا عرف الإثم والخطيئة. وكان من نتائج دخول الخطيئة إلى حياة الإنسان، أن أخذ الناس يظلمون بعضهم بعضاً، ويستبدّون. لابل إن قايين أو قابيل قتل أخاه هابيل ظلماً وعدواناً، وكانا أول شقيقين. فالظلم هو نتيجة حتمية لعصيان الإنسان على الله، والخطيئة التي استبدت به.

وعندما كثر الناس ونمت المجتمعات، أخذت ظاهرة الظلم تتسع وتكبر. فالغني يظلم الفقير والمسكين، والحاكم المستبد يظلم رعيّته، وشعوب تقهر شعوب. ولم يعد في الأرض عدل، بل ظلم وقهر وعذاب. ولقد تكلّم أنبياء الله في العهد القديم بكل وضوح، عن غضب الله على الظلم والظالمين.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

كتب إشعياء النبي قائلاً: **« ويلٌ للذين يقضون أقضية البطل، وللكتبة الذين يسجلون جوراً، ليصدوا الضعفاء عن الحكم، ويسلبوا حق بائسي شعبي، لتكون الأرامل غنيمتهم، وينهبوا الأيتام»** (إشعياء١٠:١و٢). فواضح هنا أن الله يكره الظلم، وسيدين الظالمين. ودعا الله الناس وفي آيات عديدة لكي يجروا العدل والحق، ويبتعدوا عن الظلم. وفي نفس الوقت وعد البشرية جمعاء بمجيء الملك المخلّص الذي سيأتي ويقهر الخطيئة، ويؤسس ملكوت الله القائم على العدل والحق.

وها هو إشعياء النبي يتنبأ عن هذا المخلص قائلاً: **« ولذّته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه. بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالانصاف لبائسي الأرض. ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ويكون البر منطقة متنيه، والأمانة منطقة حقويه»** (إشعياء١١:٣-٥).

أجل، لقد أتى الملك والمخلص المسيح وبدأ ملكوت الله الروحي. حيث يستطيع كل من يؤمن اليوم أن يتحرر من عبودية الخطيّة، ويرفع لواء العدل والحق. وسيأتي المسيح في مجيئه الثاني الباهر لكي يدين الخطاة والظالمين، وليؤسس ملكوت الله الأبدي. فهل تود مستمعي أن تصبح من رعايا هذا الملك العظيم؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service